فجر الإعلام في اللغة العربية

للدكتور عمر فرّوخ

الإعلام

تسمية حديثة لمدرك قديم صحيح .

احتاج البشر منذ أقدم الازمنة إلى أن ينقلوا عدداً من المعارف إلى مجموع معين من الناس فاستخدموا في سبيل ذلك عدداً من الوسائل والوسائط . وكانت اللغة أبرز تلك الوسائل وأبعدها أثراً . وقل ما عرف البشر وسيلة مادية لنقل المعرفة بين طبقات البشر عبر التاريخ الطويل كهرم خوفو . ولكننا الان في صدد نقل جوانب من المعرفة من طريق اللغة .

١ ــ الأعلام : خطأ التسمية وتعريف مدركها

إن كلمة « إعلام » تفسير لكلمة فرنجية Informatiom ، وهي بدورها كلمة غامة تستعمل مفردة في اللغة الإنجليزية وتدل على الجمع أيضاً ، كالكلمة القريبة منها News ، والمصوغة في الجمع ، ولكنها تدل على المفرد أيضاً .

وما يسمى الإعلام في اللغة العربية غامض أيضاً كغموض الكلمة المقابلة له * اللغات الأجنبية . إن المدرك الحديث « إعلام » يتموج أحياناً كثيرة ، فيتناول الإعلان (بالنون) حينا ، والدعاية او الدعاوة حينا آخر ، وربما تناول التعليم . وللإعلام نفسه وجهان : وجه برئ مخلص غايته مخاطبة العقل لتعريفه أموراً أساسية صالحة ، ثم وجه خادع ملتو غايته مخاطبة العاطفة في سبيل إقرار أثر في السامعين تتعلق بقضية عارضة ربما تبدل الاهتمام بها غدا أو بعد غد .

وبالرجوع إلى الأصول العربية تبين أن العرب قد عرفوا هذا المدرك الضروري في الحياة الحضرية أو الحضارية فوجدناه في الشعر الجاهلي وفي القرآن الكريم . ولكن الكلمة التي كانت تستخدم قبل الإسلام ثم في القرآن الكريم ، كانت « الإبلاغ » كما في الشعر الجاهلي ، ثم « البلاغ » كما في القرآن الكريم .

٢ ــ الاعلام حديثا والبلاغ قديما :

والمقصود بالإعلام أو بالبلاغ أن يكون من الحاكم أو من هو في مقامه إلى المحكوم أو من هو في درجته . والإعلام خاصة يكون عادة في نطاق أضيق من حيث المعلم (بضم فسكون فكسر) ، ومن حيث المعلم (بضم فسكون ففتح) .

(*) انظر التعقيبات على البحث في محاضر جلسات مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين (جلسة الثلاثاء ٣٠ من ربيع الأول سنة ١٣٩٩ ، الموافق ٢٧ من فبراير سنة ١٩٧٩ م)

كنا فى مؤتمر لمثل ذلك هوصل الكلام إلى أحد رؤساء الوفود فأطال – (وكان من قبل تلميذاً فى صف أحاضر فيه) فأجرت لنفسى أن أستوقفه ثم قلت له : أنت من قبل تلميذى ، وأنا الآن لاأفهم ما تقوله . أعرف أن الكلام يجب أن يكون فى «التوعية الشعبية » (كذلك كان العنوان للموضوع) ، ولكنى أرى كلامك يدور حول « إقناع الناس بوجهة نظر الحكومة » . فقال لى : وما أفعل . كذلك قالوا لنا أن نقول .

أنا لا ألوم هذا المتحدث فى ذلك المؤتمر فإن الإعلام الحديث لايمكن أن يفهم إلا فى هذا النطاق :

أما البلاغ فإنه شئ آخر : إنه نقل للمعارف الصحيحة الثابتة إلى مجموع الناس من غير إجبار فى العادة على العمل بها .

٣ـ وجوه الاعلام الثلاثة فى الجاهلية :

سأقتصر من وسائل الإعلام فى الجاهلية على المعلقات . وسأتناول الكلام على ثلاث معلقات :

(أ) معلقة عمرو بن كلثوم ، وفيها تبجح القوى فى تبرير اعتدائه ، وفى التهديد برد الاعتداء بمثله .

(ب) معلقة الحارث بن حلّزة ، وفيها اعتذار الضعيف من انهزامه وتنصله من اعتداء وقع على خصمه لم يكن هو القائم بذلك الاعتداء مع كلام فى الحق والعدل .

(ج) معلقة زهير بن أبى سلمى ، وفيها موقف الحكم العاقل الذى يعرف الفرق بين الاعتداء والدفاع عن النفس ، ولكن زهيراً يتجاوز أسباب القتال للتوفر على الكلام فى نتائجه وفى ضرر تلك النتائج على المعتدى وعلى المعتدى عليه كليهما . كان زهير يدعو إلى حل المشاكل بالسلم لا بالحرب . إنه كان يمثل فى الجاهلية ما تمثله اليوم « منظمة الأمم المتحدة » كما يجب أن تكون منظمة الأمم المتحدة .

أما من حيث الألفاظ ، فقد جاء فى مجال الإعلام فى المعلقات التى اخترتها ألفاظ منها :

– (من جذر بلغ) :

يقول عمرو بن كلثوم : ألا أبلغ بنى الطماح عنا . ويقول الحارث بن حلزة :... وأمر الله بَلّغْ يشقى به الأشقياء– أيها الناطق المبلغ عنا عندعمرو . ويقول زهير : ألا أبلغ الأحلاف عنا رسالة . وكذلك يقول الأعشى (وإن لم أختر معلقته فى هذا البحث) : أبلغ يزيد بنى شيبان مألكة .

– (من جذر علم) :

والصيغ من هذا الجذر مألوفة فى مثل هذا الموضوع . قال عمرو بن كلثوم : ألما تعلموا منا ومنكم كتائب ... ؟ – وقد علم القبائل

من متعمّدٍ — وقال الحارث : قد علمتم أيام ينتهب الناس — واعلموا أننا وإياكم . . . وقال زهير : وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم . وقال الأعشى : سائل بنى أسد عنا فقد علموا . . .

وكذلك جاء فى هذه المعلقات صيغ مختلفة من الجذور التالية :

من «خبر» (نُخبِّرك وتخبرينا) ، ومن «حدث» (حدثت ، ثلاث مرات) ، ومن «عرف» (تعرفوا وأعرفنك) ومن «نبأ» (الأنباء وأنباثنا) ومن «زعم» (زعموا) .

٤ــ الفاظ الاعلام فى القرآن الكريم :

وفى القرآن الكريم صيغ مختلفة من ألفاظ للدعوة ترجع إلى نحو عشرين جذراً . وسأورد فيما يلى شاهداً واحداً أو أكثر من شاهد واحد على كل جذر . ويحسن أن ندرك أن عدداً كبيراً من هذه الألفاظ عامة ، وأن القرآن الكريم هو الذى جعل منها ألفاظاً خاصة بالدعوة إلى الإيمان :

بشر — فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا (١٩ : ٩٧ ، مريم) .

بعث — ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك (٢ : ١٢٩ ، البقرة) .

بلغ — يا أيها الرسول ، بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته (٥ : ٦٧ ، المائدة) .

هذا بلاغ للناس ولينذروا به (١٤ : ٥٢ ، إبراهيم) .

وما على الرسول إلا البلاغ المبين (٢٤ : ٥٤ ، النور) .

بيّن — قد جئتكم بالحق لأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه (٤٣ : ٦٣ ، الزخرف) .

وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ما نزل إليهم (١٦ : ٤٤ ، النحل) .

وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبيّن لهم (١٤ : ٤ ، إبراهيم) .

تبع — اتبعْ ما أوحى إليك من ربك (٦ : ١٠٦ ، الأنعام) .

وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتّقوا لعلكم ترحمون (٦ : ١٥٥ ، الأنعام) .

تلو — واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك (١٨ : ٢٧ ، الكهف) .

ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك (٢ : ١٢٩ ، البقرة) .

جوب — يا قومنا ، أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم (٤٦ : ٣١ ، الأحقاف) .

استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لامرد له من الله (٤٢ : ٤٧ ، الشورى) .

دعا — داعى الله (انظر فوق) .

— قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهاراً ، فلم يزدهم دعائى إلا فراراً . وإنى

كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم، واستغشوا ثيابهم، وأصروا واستكبروا استكبارا . ثم إنى دعوتهم جهاراً . ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً . . . (٧١: ٥ - ٩ ، نوح) .

— ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة (١٦ : ١٢٥ ، النحل) :

— ياأيها النبي ، إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيراً (٣٣ : ٤٥ ، ٤٧ ، الأحزاب) :

ذكّر — فذكر بالقرآن من يخاف وعيد (٥٠ : ٤٥ ، ق) ؛

— فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولامجنون (٥٢ : ٢٩ ، الطور) .

— فذكر إنما أنت مذكر (٨٨ : ٢١ ، الغاشيه) ؛

— أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم (٧ : ٦٩ ، الأعراف) .

— ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر (٥٤: ١٧ ، ٣٢ ، ٤٠ ، القمر) .

— وما هو إلا ذكر للعالمين (٦٨ : ٥٢ ، القلم) .

— إن هو إلا ذكر للعالمين (٨١ — ٢٧ ، التكوير) .

— قل : لا أسألكم عليه أجراً، إن هو إلا ذكر للعالمين ر ٢٠ : ٤٢ ، طه) .

— إن هذه تذكرة ، فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا (٧٣ : ١٩ ، المزمل) .

— فما لهم عن التذكرة معرضين (٧٤ : ٤٩ ، المدثر) .

رسل — (أوسع المواد فى هذا المعنى) .

— هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله (٩ : ٣٣ ، التوبة ؛ ٤٨ : ٢٨ ، الفتح ؛ ٦١ : ٩ ، الصف) .

— وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبيّن لهم (١٤ : ٤ ، إبراهيم) .

— ياأيها النبي ، إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيراً . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيراً (٣٣ : ٤٥ — ٤٧ ، الأحزاب) .

سمع — وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا : قد سمعنا . لو نشاء لقلنا مثل هذا ، إن هذا إلا أساطير الأولين (٨ : ٣١ ، الأنفال) .

وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه (٩ : ٦ ، التوبة) :

— وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق (٥ : ٨٣ ، المائدة) .

— إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون (٢٧ : ٨١ ، النمل ؛ ٣٠ : ٥٣ ، الروم) .

— ومنهم من يستمع إليك، وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه (٩ : ٣٥، الأنعام).

عرف — . . . . . مما عرفوا من الحق (انظر فوق) .

— فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرّف بعضه وأعرض عن بعض (٦٦ : ٣ ، التحريم) :

تلو — يتلو عليكم آياتنا، ويعلمكم الكتاب والحكمة (٢ : ١٥١ ، البقرة ؛ ٣ : ١٦٤ ، آل عمران) .

نبأ — نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم (٤٥ : ٥٩ ، الحجرات) .

— ويستنبئونك أحق هو ؟ قل : إى، وربى : إنه لحق (١٠ : ٥٣ يونس) .

ندى — ونادى فرعون فى قومه، قال : ياقوم ، أليس لى ملك مصر ؟ (٤٣ : ٥١ الزخرف) .

— ربنا ، إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا (٣ : ١٩٣ آل عمران).

— إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله .

نذر — (هذه المادة واسعة جدا)

— واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله (٤٦ : ٢١ الأحقاف) .

— سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون (٢ : ٦ البقرة ؛ ٣٦ : ١٠ يس ؛ ٦ : ١٩ الأنعام) .

— وأوحىَ إلىَّ هذا القرآن لأنذركم به، ومن بلغ ، أإنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ! قل لا أشهد ، قل : إنما هو إله واحد ، وإننى برئ مما تشركون (٦ : ١٩ الأنعام) .

— وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها (٦ : ٩٢ الأنعام) .

— أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم (٧ : ٦٣ ، ٦٩ الأعراف) .

— فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم (٩ : ١٢٢ التوبة) .

— وأنذر عشيرتك الأقربين (٢٦ : ٢١٤ الشعراء) .

— لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون (٣٦ : ٦ يس) .

— هذا بلاغ للناس ولينذروا به (١٤ : ٥٢ إبراهيم) .

— يا أهل الكتاب ، قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا

ما جاءنا من بشير ولا نذير ، فقد جاءكم بشير ونذير (٥ : ١٩ المائدة) .

وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه .... (١٧ : ٢٧ الإسراء)

ـ وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين (١٥ : ٦٦ الحجر) .

وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض .... (١٧ : ٤ الإسراء) .

وما كنت بجانب الغربى إذا قضينا إلى موسى الأمر .... (٢٨ : ٤٤ القصص) .

هدى ـ أولئك الذين هدى الله ، فبهداهم اقتده (٦ : ٩٠ الأنعام) .

ـ بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان (٤٩ : ١٧ الحجرات) .

ـ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى (٤١ : ١٧ فصلت) .

جعل ـ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات (٢١ : ٧٣ الأنبياء) .

ـ فقالوا : أبشر يهدوننا ؟ فكفروا وتولوا (٦٤ : ١٦ التغابن) .

ـ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم (١٧ : ٩ الإسراء) .

ـ إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدى إلى الحق (٤٦ : ٣٠ الأحقاف) .

ـ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام (٦ : ١٢٥ الأنعام) .

ـ اهدنا الصراط المستقيم (١ : ٦ الفاتحة) .

ـ فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ (٣ : ٢٠ آل عمران) .

ـ إنما أنت منذر ولكل قوم هاد .

ـ ومامنع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا (١٧ : ٩٤ ، راجع ٥٥ الإسراء) .

ـ ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بنى إسرائيل الكتاب (٤٠ : ٥٣ غافر) .

ـ هو الذى أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله (٤٨ : ٢٨ الفتح) .

وعظ ـ قالوا : سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين (٢٦ : ١٣٦ الشعراء) .

ـ فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف (٢ : ٢٧٥ البقرة) .

ـ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين (٣ : ١٣٨ آل عمران) .

ـ يا أيها الناس ، قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور (١٠ : ٥٧ يونس) .

ـ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن (١٦ ـ ١٢٥ النحل) .

ثم استعرضت عدداً من رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم فى «جمهرة رسائل العرب »

من تأليف أحمد زكى صفوت (الجزء الأول مصر (١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧ م) فوجدت تعابير منها : أدعوك بدعاية الإسلام (ص ٣٣ ، ٣٤، ٣٦، ٤٦) — دعوتك (ص ٣٩)— أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده (ص ٤١) — يدعوهم (ص ٤٥) — ادعوهم إلى الإسلام (ص ٦١، ٦٢) — ادعوهم إلى عبادة الله (ص ٧٦)، ونجد فى هذه الرسائل وفى رسائل الصحابة الخلفاء عدداً من الألفاظ التى كانت قد مرت بنا فى الكلام عـــلى ألفاظ القرآن الكريم ، مثل : بلغ (ص ١١٤ ، ٣٩٣، ٤٤٤) — عـــلم وأعلم (ص ٣٢٥ ، ٣٧٥) .

وهنالك عدد من هذه الألفاظ يرد فى خطب الرسول ، وخصوصاً فى خطبة الوداع : فى قوله عليه السلام : «...ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد » (بضع مرات).

ذلك عدد من الألفاظ الدائرة فى الإعلام جمعتها من عدد من المعلقات ، ومن القرآن الكريم ، ومن عدد من رسائل الرسول عليه السلام . وقد بدا لى :

أن الإسلام اختار كلمة « بلاغ » مع عدد من مشتقاتها فى مقابل كلمة « إعلام » الدائرة فى الاستعمال الحديث.

ثم بدا لى أن كلمة « بلاغ » كانت تعنى عرض الحقائق المقصودة بلا لبس ، وليس ذلك غير منتظر فى مقام الدعوة إلى الإسلام . أما كلمة «إعلام» الحديثة ، فالمقصود منها توجيه الجانب الغالب من الرأى العام وجهة مخصوصة آتية قد تتبدل فى غد أو بعد غد ، ثم تعود إلى ما كانت عليه قبل مدة .

إن الإعلام الحديث لا يرمى إلى بسط الحقائق بقدر ما يرمى إلى عرض الحقائق أحياناً عرضاً جزئياً . وربما صنع قرائن وأقامها مقام الحقائق .

وعمدة الإعلام الحديث التوجه إلى الجمهور الغالب من الناس ممن يصدق فيهم قول المتنبى :

إنما تسرع المقالة فى المرء
إذا صادفت هوى فى الفؤاد

فالعامة أكثر انجرافاً مع الإعلام البارع من المثقفين الذين لا يتأثرون عادة بالدعوات القصيرة الفترات .

وألفاظ الإعلام الحديث ذات خاصتين :

١ــ كلمات ذات رنة يتداولها الناس بكثرة ، وليس من الضرورى أن يكون معناها مفهوما أو واضحاً عند الذين تلقى عليهم .

٢ ــ كلمات جـــديدة ذات سهولة فى اللفظ أو غرابة فى اللفظ أو قوة لفظية .

وسأضرب على كل نوع من هذه الكلمات أمثلة موجزة :

ــ نشأ فى العالم سلسلة من الفنادق أطلق عليها اسم « هلتون » من اسم صاحب هذا المشروع

لسلسلة الفنادق واسمه الكامل كونراد نيكلسون هلتون ، ولد عام ١٨٨٧ م ، وكان لا يزال حياً فى عام ١٩٧٣ م . وما كادت فنادق هلتون تعلو فى بلادنا حتى تسابق العوام إلى اهتبال الفرصة بتسمية أعمالهم « هلتون ».فعلى مقربة من مجمعنا اللغوى دكة صغيرة لإصلاح الأحذية اسمها هلتون ، وهنا وهناك أماكن مشابهة لدكة إصلاح الأحذية تتزين باسم هلتون .

— وفى عام ١٩٧٠ أقيم معرض فى اليابان أطلق عليه اسما مختصراً هو ٧٠ من Expo 70 ،فتسابق العامة إلى إطلاق كلمة إكسبو على محل بائع طعمية ، على محل تجارى ، على معمل نجارة ، الخ :

— وعندنا فى بيروت محل لبيع الحلوى الفرنجية اسمه « موناليزا » ثم محل للتزيين للسيدات ، فيما أتذكر وغيرهما :

هذا على صعيد العامة ، من حيث الألفاظ ، والعامة معذورون فى ذلك . أما على صعيد أشباه الخاصة فالأمر أدهى وأمر :

— كثر فى المدة الأخيرة استعمال صيغتين : توافر بمعنى كثر ،والمقصود وفر فى أحد معانيها . أما توافر (كما جاء فى المعجم الوسيط) فمعناها يرجع إلى كرم الأصل وما يشبهه . وأما الصيغة الثانية فهى «تواجد» بمعنى حضر . وتواجد معناها الصحيح «دخل فى الوجد أو الانجذاب الصوفى طريق الغيبة عن الحس) .

وهنالك ألفاظ كثيرة تؤخذ من اللغات الأجنبية ، وتطلق بلا تمييز على ما يوافق معانيها أولا يوافق معانيها . قرب بيتنا فى بيروت محل لبيع الحلوى اسمه بيليه (وهو لاعب كرة قدم برازيلى فيما أظن) . ودكان لبيع الأحذية اسمه أولد شو (الحذاء العتيق) ومحل صغير لبيع النسيج اسمه بوتيك شوب (دكان دكان) .وهنالك محل اسمه برسيوسا فإذا كانت الكلمة مأخوذة من الإيطالية فيجب أن تكتب برسيوزا . أما إذا كانت مأخوذة من الإسبانية فكتابتها الصحيحة برثيوسا ؟ وفى القاهرة إعلانات كبيرة عن « شاى أبى نواس » ؟ وما أعتقد أن أبا نواس كان يعرف الشاى أو كان يحب الشاى لو عرفه ؟

هذا على صعيد الألفاظ . أما على صعيد النصوص الإعلامية فكثيرا ما نقرأ مثل هذا النص :

جاءنا من وزارة الإعلام ما يلى :

وصل أمس كورت فالدهايم إلى بيروت فاستقبله فى المطار وفد كبير فيه فلان وفلان . وبعد قليل اختلى فالدهايم بوزير الخارجية ساعة كاملة . وقد كانت وجهات النظر بينهما متفقة اتفاقا تاماً .

وقد صرح فالدهايم لمندوبنا أن الأمم المتحدة والدول الصديقة حريصة على أن تتمتع المنطقة بالهدوء والازدهار ، كما يجب أن ينال كل فريق حقوقه المشروعة ثم

قال فالدهايم: إنه مستعد دائماً لأن يبحث مع جميع الفرقاء فى كل الموضوعات التى تهم المنطقة .

(ا) فى أثناء الثورة السورية أو الثورة الدرزية كنت طالباً فى كلية الآداب فى الجامعة الأميركية فى بيروت . فطلب منا أستاذ التاريخ أن نأتى بدفتر كبير، ثم نقطع البلاغات التى تصدر فى كل يوم لتكون تلك البلاغات سجلا نرجع إليه حينما نريد فى المستقبل أن ندرس أحداث تلك الثورة . فجئنا بسجل فاخر تعاونّا على شرائه، وأخذنا فى كل يوم نقطع بلاغاً أو بلاغين تصدرهما سلطة الانتداب الفرنسى فى سوريا ولبنان، ونلصق ما نقطعه من الصحف فى ذلك الدفتر . ولما انتهت الثورة وجدنا من الخير للتاريخ وللدرس التاريخ أن نرمى بذلك السجل فى زاوية من زوايا الغرفة، لعل أحداً يتناوله فيستخدمه فيما هو أنفع .

(ب) المعروف أن كل وزارة فى العالم تتقدم إلى الشعب ببيان وزارى واحد أو بأكثر من بيان وزارى واحد فى أثناء فترة حكمها ، والقاعدة الدستورية أن يضع أفراد الوزارة هذا البيان بالتشاور فيما بينهم، وليس من الضرورى أن تكتب الملكة اليزابث الثانية خطاب العرش الذى تلقيه فى مجلس النواب، ولا أن ينشىء كل رئيس وزارة كل بيان تتفق عليه وزارته .

ومنذ أنشئت الوزارة فى لبنان — قبل الاستقلال وبعد الاستقلال — وكل بيان وزارى يتضمن الأمور التالية : تحسين الأوضاع العامة للشعب اللبنانى — إيصال الماء والكهرباء إلى كل قرية فى لبنان — جعل التعليم مجانا للجميع — . . . . إلخ. ولا يزال كل بيان وزارى يجد من الحاجة أن يعيد تعداد هذه الأمور إلى اليوم . غير أن الصحف فى كل مرة تمدح البيان الوزارى وتبشر بما فيه من وجوه الإصلاح وما سيحققه من وجوه التقدم والرفه .

(ج) آخر ما بثته الحكومة اللبنانية من أحاديث الإعلام حديث عن « متانة الليرة اللبنانية ». فى عام ١٩٢٧ مثلا كانت الليرة العثمانية الذهب تساوى خمس ليرات لبنانية ونصف ليرة. وكانت الليرة الإنكليزية الذهب تساوى ست ليرات وربعا، وكان الجنيه المصرى الورق يساوى واحداً وعشرين شلناً إنكليزيا . وكنا ندفع قسط جامعة بيروت الأميريكية ستة عشر جنيها مصرياً ، وفى عام ١٩٣٥ اشتريت بذلة « سموكنج » خاطها الخياط باثنى عشرة ليرة لبنانية، أو بنحو مائة وخمسة وسبعين قرشا مصريا .

أما اليوم فإن الليرة العثمانية الذهب تساوى مائتين وسبعين ليرة لبنانية أو خمسين ضعفا ما كانت تساوى من قبل : وأما حديث

الإعلام الرسمى، فقد أراد تبرير ارتفاع الأسعار فى بيروت : فقال بالحرف الواحد «إن القيمة النقدية لليرة اللبنانية لم تنخفض قط ، ولكن القيمة الشرائية لليرة هى التى انخفضت » وكان فى السامعين من صدق الحديث الإعلامى وكان فيهم من لم يصدقه.

(د) إذا أنت خاطبت أحداً فى الولايات المتحدة وجاها أو بالتلفون سمعت منه فى كل نصف دقيقة عشرين مرة أو كى .O. K .

فى القرن الماضى هاجر إلى الولايات المتحدة رجل هولندى فاتفق أن عين مراقباً على خروج البضائع من الجمرك . ويبدو أن معرفته باللغة الإنكليزية المكتوبة لم تكن وافية . فقيل له : إذا استوفت السلعة دورانها فى المراقبة ودفع الرسوم فاكتب عليها: All Correct كل شىء صحيح . ولكن صاحبنا كان كسلان ، فلم يشأ أن يكتب الكلمتين فكان يكتب الحرفين الأولين من كل كلمة منهما . ولكن الرجل الهولندى كان يتكلم لغـــة تكتب كما تلفظ فكان يكتب أوكى .O. K بدلا من .A. C . والأميركيون أنفسهم اليوم يقولون أوكى ، ومنذ وقت قريب أنزلت الحكومة اللبنانية إلى الأسواق نوعا من السكاير سمته «أوكى» .

(ه) كنت مرة عند بائع الجبن الذى أشترى منه ، فجاء رجل وقال له: بحياتى عليك كان لكم بالأمس إعلان فى التلفزيون عن شىء نسيته الآن. فما هو ؟ فقال له الرجل : كان ذلك عن النوع الفلانى . فقال له الرجل : أعطنى منه .

(و) وفى مرة ثانية جاء رجل وقال له أعطنى من الجبن الذى يؤكل مع الخيار .

(ز) كنت مرة فى بلد عربى فى جماعة معى ، فرتبت للجماعة زيارة إلى مصنع للسكاير وكان المصنع ذلك على غاية من النظافة والنظام والترتيب ، وكانت العنايةَ بالآلات والأدوات وبالسكاير صنعا وتغليفاً وتعبئة مما يثير الإعجاب . وفيما كنا خارجين سألت الدليل الذى كان معنا : « أأنتم هنا تهتمون بصنع الرغيف كما تهتمون بصنع السيكارة ؟ رأيت الجواب فى وجهه وعينيه ولم أسمعه من فمه .

(ح) وفى مرة أخرى كنا فى مكان آخر فى مصنع للصابون . طفنا فى المصنع كله فانتهى بنا المطاف إلى مكان التعبئة .وكان المشرف على إعداد الصابون يشرح لنا كل مايتعلق بالصابون، من جلب مادتى الصودا والزيت إلى المعمل حتى تغليف قطعة الصابون،

ولما انتهى الرجل من الشرح دار على الزوار بقطعة جاهزة من الصابون، فكان بعضهم يشم القطعة ويتمتم بكلمات معروفة ، وكان منهم من يعجب بلونها، وكانت القطعة تمر بنفر منهم بلا حركة، فلما وصلت القطعة إلى يدى غمزتها قليلا . وتنبه المشرف إلى حركة يدى فقالى لى: «ماذا نفعل ؟ السوق لاترحم ، ونحن نحتاج إلى أن نعجل فى صنع الصابون ولا نستطيع أن نتريث كثيراً فى أثناء طبخه» .

هنا لابد من ملاحظة : أن اختيار وسائل الإعـــلام وتخير الكلمات لتلك الوسائل لا يرجعان إلى المشرف على الإعلام بقدر مايرجعان إلى مقدرة المقصودين بالإعلام على الاستيعاب وعلى الانجراف فى تيار الإعلام .

عمر فروخ
عضو المجمع من لبنان